تمهيد

تشكل سورية الطبيعية بيئة جغرافية واحدة تنحصر بين جبال طوروس العالية في الشمال والصحارى العربية في الجنوب، وبين بلاد مابين النهرين في الشرق والبحر الأبيض المتوسط في الغرب.

وتتناوب طبوغرافية سورية بين مناطق منخفضة ومناطق مرتفعة يحاذي بعضها بعضاً وتتجه من الشمال إلى الجنوب. ويمكن تمييز خمس مناطق طولانية متتالية بين البحر والبادية الشامية.

أولاً السهل الساحلي الممتد من شبه جزيرة سيناء وحتى خليج الاسكندرون يحده البحر غرباً وسلسلة الجبال شرقاً ويختلف عرضه ما بين الشمال والجنوب ويكون في الوسط جانب جبل لبنان. وهو سهل خصب جداً كثير الأمطار نسبياً تختلف الارتفاعات فيه وقد تصل أحياناً إلى ٨٠٠ م فوق سطح البحر.

ثم تأتي السلسلة الجبلية الغربية تبدأ من جبال الأمانوس شمالاً وحتى جبل سيناء جنوباً وتكون حاجزاً بين الداخل والبحر سوى في الشمال السوري وعند برزخ السويس جنوباً مع وجود ممر وحيد شمال طرابلس هو صدع وادي نهر الكبير وصدع مرج ابن عامر شرقي حيفا ويكون أعلى ارتفاع في هذه السلسلة هو جبل لبنان حيث نجد أعلى قمة فيه تصل إلى نحو أربعة آلاف متر فوق سطح البحر. وثالث تلك المناطق هي منطقة السهول الواقعة بين سلسلتي جبال لبنان الشرقية والغربية وهي تضم سهل العمق في الشمال وسهل البقاع في الوسط ويستمر جنوباً في وادي الأردن حتى البحر الميت ومنه إلى وادي عربة حتى خليج العقبة، ويختلف ارتفاعات أو انخفاضات تلك المنطقة السهلية فارتفاع سهل العمق قرب حماه نحو ٣٠٠م فوق سطح البحر وينخفض أدنى من سطح البحر بقدر ٤٢٠ م عند البحر الميت. المنطقة الرابعة هي السلسلة الشرقية وتبدأ من جنوبي حمص وهي تقابل جبال لبنان الغربية ولذلك سميت بسلسلة جبال لبنان الشرقية وهي تقريباً على طول واحد وارتفاع واحد ثم تنحدر من حرمون نحو هضبة حوران ومنطقة التلال التي تجاورها غربي الجولان حيث نجد أعلى ارتفاع لها لجبل الشيخ ثم تمتد إلى جبل عرمون نحو ١٣٠٠م فوق سطح البحر وجبل جلعاد

(١١٣٥ م فوق سطح البحر) ويصل الارتفاع قرب البتراء إلى نحو ١٤٠٠م فوق سطح البحر.

أما المنطقة الأخيرة فهي تلك السهوب والسهول التي تتدرج عن السلسلة الشرقية باتجاه الشرق لتصل إلى بادية الشام وهي منطقة منبسطة يقطعها سلسلة جبلية هي السلسلة التدمرية التي تمتد من شرق تدمر وتصل إلى جزيرة قبرص التي هي إحدى مرتفعات تلك السلسلة.

وتقسم بادية الشام التي هي تتمة الصحراء العربية إلى قسم يحيط بالعراق ويسمى صحراء أو بادية السماوة أو بادية العراق. وقسم جنوبي غربي يسمى بادية الشام أو الصحراء السورية. وهي تنقسم إلى قسم حجري يشكل الحماد ورملي يغطي المناطق الاخرى وكانت الصحراء وسيلة عبور هامة للقوافل التجارية وصلة وصل بين مصر وسورية ومناطق إيران والهند.

تنساب من المرتفعات الجبلية عدة أنهار تنبع من تلك السلاسل الجبلية منها ما يتجه غرباً أو شرقاً أو جنوباً إلا نهر العاصي الذي يخالف كل مجريات الأنهار فيتجه شمالاً ولذلك سمي بالعاصي.

أن التنوع الجغرافي والصورة الطبوغرافية لسورية الطبيعية جعلتها ذات مركز استراتيجي هام. وكان موقعها ودورها الحضاري مؤثراً كبيراً في تاريخها لذلك غزتها أقوام مختلفة شرقية وغربية ونشأت بسبب ذلك مناطق دفاعية كثيرة وحصون وقلاع مختلفة في بقاع استراتيجية، ونشأت العديد من المدن والمواقع الجغرافية الهامة.

وكتابنا هذا وضعه العلامة المهندس وصفي زكريا واصفاً فيه بدقة المشاهد والآثار والطرق ليستفيد منه المدني والعسكري والسائح والمقيم والطالب والعالم وهو جمع ما بين الوصف الحي للمنطقة وبين المرويات التاريخية في بطون الكتب والآثار والمخطوطات وبين ما يعرفه السكان المحليون عن مرويات القدامى والأجداد.

لقد حاولت مراراً إعادة ترتيب الكتاب ولكني لم أستطع. فقد بدأ المؤلف كتابه من طرابلس الشام ولم يبدأ من بيروت أو من الشام مع أن طريقة الكتاب تعتمد الوصف للموقع والطرقات وما تؤدي له الطرقات وليس هاماً من أين نبدأ من

الساحل أم من الداخل من دمشق أم بيروت أم حلب إلى أن تبين لي سبب بدء المؤلف من طرابلس.

فطرابلس لها أثر خاص عند المؤلف وهي مدينة زوجته السيدة صدود ووالده وأولاده. وكأنه يحاول إهداء الكتاب إليها لو أمهله العمر لإتمامه وطباعته.

ولذلك حرصاً على ما نظنه هدف المؤلف نهدي الكتاب إلى السيدة صدود سمينة باسم مؤلفه وصفي زكريا لدورها الهام في حياته وإنتاجه وتربية أولادهما.

obeikandi.com